

## الجاسوس الذى لا يخفى سرا

\*\*\*\*\*

جاء والدى لزيارتى فى ميس الضباط – حامللى نصيحة  
من رئيس ادارة الجيش تقول : لقد ضعت يا انور لا محالة . وحكم  
الاعدام صدر – بالفعل – ضدك ! وتنفيذ الحكم رميا بالرصاص اصبح  
مسألة ايام قليلة ومعدودة ! فاذا اردت ان تنجو بحياتك فليس امامك  
سوى الاعتراف ! فاعترف بكل شئ ، فهذا وحده الذى يمكن ان يوقع  
المجلس العسكرى الاعلى بتخفيف الحكم ضدك ، والغاء حكم الاعدام ،  
واستبدال السجن المؤبد به ؟

ورفضت النصيحة . وقلت لوالدى : لا تصدقهم فهم لا يملكون  
اى دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل لما انتظروا منى اعترافا ،  
ولامروا باعدامى منذ اللحظة الاولى !

اراد زوار الفجر – من الضباط المصريين والانجليز – ادخالى  
سجن الاجانب ، تمهيدا للتحقيق معى ، بعد ان فشلوا فى العثور على  
اى شئ داخل منزلى ، يمكن ان يديننى ، ويثبت اتصالى بالجواسيس  
الالمان . ورفضت دخول سجن الاجانب . وتمسكت بحقى كضابط جيش  
لا يمكن التحفظ عليه داخل سجن الاجانب . وطالبت باتباع القواعد  
المتبعة مع الضابط ، والتخفظ على ميس الضباط ، وتحت حراسة  
ضابط جيش مصرى .

واجرى زوار الفجر الاتصالات العاجلة ، ثم عادوا ووافقوا على  
طلبى بعد ان وجدوا الحق معى . وتم ترحيلى الى قشلاق الفرقة ( ب )

وكان يقع – فى ذلك الوقت – فى شارع القصر العينى وامام مجلس الشعب ، تمهيدا لنقلى فى صباح اليوم التالى الى ميس الضباط . وهكذا فرضت رايبى على زوار الفجر ..

وفى اليوم التالى نقلت الى مكان التحقيق معى . وهو نفس المبنى الذى تشغله الان وزارة الدفاع . وكان وقتها مقر رئاسة الاركان . وتشغل المخابرات العسكرية جانبا خلفيا من هذا المبنى .

وكان مجلس التحقيق يتكون من ثلاثة ضباط من ادارة المخابرات العسكرية المصريه . واثنان من الضباط الانجليز . وضابط بوليس مصرى واحد . وحاولت ان افرض رايبى على زوار الفجر مرة اخرى . وتقدت بطعن فى تشكيل مجلس التحقيق .

وقلت فى طلبى :

– كيف يمكن ان اكون ضابطا فى الجيش ، ثم يحقق معى ضابط انجليز ، وضابط بوليس مصرى ؟ اننى ارفض المثل امام هذا المجلس ، واطالب باعادة تشكيلة من ضباط جيش مصريين فقط .

ولم يهتم او يلتفت . احد الى طلبى ..!

وارغمت على المثل امام مجلس التحقيق وبدا التحقيق الطويل

والمرهق ..

وضعونى بين عشرة ضباط من الجيش المصرى ، وارتدينا نفس نفس الملابس . ونفس الرتب تقريبا ووقفنا فى طابور للعرض امام جاسوس المانيا اللذين قبض عليهما قبلى . وطلبوا منهما التعرف على الضابط المصرى الذى تعرفا عليه وقدمهما الى الفريق عزيز المصرى ، وزارهما فى عوامتهما ، واخذ منهما جهاز الارسال والاستقبال اللاسلكى . وتطلع الجاسوسان – ابلى وساندى – الى الطابور الطويل ،

وفوجئت بابلر ينظر الى ثم يتوجه ناحيتى مباشرة ويشير باصبعه الى  
قائلا :

— هذا هو !

الجاسوس الثانى — ساندى — كان اكثر خجلا من زميله ابلر  
الذى لا يعرف الخجل ولا يحتفظ بسر ، فانه — على الاقل — لم يتجه  
الى مكانى على الفور ويخرجنى من الصف ، كما فعل بلر ، وانما اخذ  
يمر امام الطابور من اوله ، ويتطلع فى وجوه الضباط الواحد بعد الاخر  
، الى ان وصل الى مكانى فتوقف ، وأشار — فى خجل — الى شخصى

وعرفت تفاصيل القبض على الجاسوسين فيما بعد ..

تبين انه قد تم القبض على ابلر وساندى بعد يومين فقط من  
زيارتى لهما فى العوامة . لقد زرتهما يوم الجمعة . والقى القبض  
عليهما يوم الاحد .. ثم قبضوا على يوم الثلاثاء .

وعرفت ان ابلر لم يستطع ان يصمد امام الذين حققوا معه . فقد  
تطوع وادلى باعترافات كاملة ، مدعاه بكل التفاصيل ، الاسماء  
والتواريخ ، وبشكل لم يكن المحققون يحلمون به او يتوقعون الحصول  
عليه بمثل هذه السهولة !

لم يترك ابلر صغيرة ، او كبيرة ، الا وذكرها ، واعترف بها .  
ووجدت نفسى حائرا بين امرين . الامر الاول ان انكر معرفتى  
بالجاسوسين ،

وبالتالى اجد نفسى مطالبا بالدفاع عن موقفى بالنسبة لجميع  
القرائن والوقائع والادلة التى حددها ابلر وتطوع بتفاصيلها .

والامر الثانى الا انكر معرفتى بالجاسوسين . وفى نفس الوقت  
ابزر تلك الصلة بحيث يمكنى انقاذ نفسى من هذا المازق الذى وقعنا  
فيه جميعا .

واخذت الامر الثانى :

قلت للمحققين :

نعم .. لقد تعرفت عليهما ولكن الحقيقه اننى لم اعرفهما  
كجاسوسين لالمانيا ، وانما كضابطين فى الجيش البريطانى وهذا شئ  
طبيعى ، ولا غبار عليه !

وقفز ابزر غاضبا ، وصارخا :

— هذا غير صحيح فهو يعرف اننا المان . ووافق على ان يلتقى  
بنا سرا . ولم يحدث ان قدمنا انفسنا اليه كضباط انجليز .

وسالنى المحققون :

— واين التقيت بهما ؟

فقلت :

— التقيت بهما فى قشلاق الجيش بالعباسية . وهذا دليل على  
اننى صدقت انهما ضابطان بريطانيان .

فلم يكن من المعقول ان يسمح بدخول جواسيس المان الى داخل  
القشلاق ، ولا يكتشف امرهما ! وعاد ابزر الى القفز غضبا ، وصرخ  
يكذبنى قائلا :

— غير صحيح . فلم يحدث ان دخلنا قشلاق العباسية . والحقيقه

اننا تقابلنا معه فى محل " الجمال " فى وسط القاهرة . وهو يحاول  
الان ان ينفى ذلك . بعد ان حول محل الجمال الى قشلاق العباسية !

واراد ابزر اخراجى فسالنى امام مجلس التحقيق

— ان زميلك حسن عزت يعرفنا , ويتعامل معنا كالمان وهو  
الذى قدمنا لك .

وبمنتهى الهدوء قلت :

— غير صحيح . وحسن عزت لا يعرف اى شئ عنكما سوى  
انكما ضباط انجليز !

وكاد ابتر ان يفقد صوابه ، فهو يعترف ، ويقدم الدليل بعد الدليل  
. وانا ارد عليه بمنتهى الهدوء . فاكذبه ، واجد مبررا مقبولا لكل ما  
تصور انه يديننى ، ويورطنى معه .

ولم يكن سهلا ما قمت به فمئذ ان علمت بوقوع ابتر وساندى  
فى قبضة المخابرات

البريطانيه والمصرية ، وانا افكر فى كيفية الهروب بجلدى  
فمعرفتى السابقه بابتر جعلتنى اتوقع تخاذله ، وعدم صموده وتطوعه  
بتقديم الاعترافات لكل ما قام به .

وكان لا بد — والامر كذلك — ان اضح خطة ادافع بها عن نفسى  
. وابرر بها تصرفاتى . وكنت فى حاجة الى مقابلة حسن عزت . ولم  
يكن هذا بالامر السهل . فقد وضعت تحت التحفظ داخل ميس الضباط .  
وتحت حراسه مشددة يقوم بها احد ضباط الجيش . ولم يكن مسموحا  
لمن يتعرض لما تعرضت له ان يلتقى بزميل له يواجه نفس المصير  
ليتفقا معا على خطة الدفاع . ولكن اخوانى من الضباط فى الميس  
وافقوا على طلبى وسهلوا لى عملية مقابلة حسن عزت .

وقلت لحسن عزت :

— عندما يسالونك فى التحقيق ، فعليك ان تنكر كل شئ : واترك

الباقى على !

ونفذ حسن عزت ما طلبته منه بالضبط .

سالوه امام مجلس التحقيق :

— هل ذهبت مع انور السادات لمقابلة ابلىر وساندى ؟

ورد حسن عزت :

— نعم : ولكننى لا اعرف اى شئ عن هذا الموضوع : فانور

هو الذى حدثنى عن الضابطىن البريطانىين . وهو الذى قدمنى اليهما ،  
وهو الذى كان يحدد مواعيد اللقاءات . ويأخذنى معه اليهما .

ولم تجد لجنة التحقيق ما تأخذه على حسن عزت . نتيجته لاقواله  
والتى جئت انا وايدتها ، عندما قدمت المبررات اللازمة لجمع تصرفاتى  
ولقاءاتى مع ابلىر وساندى .

وحاول ابلىر المستحيل من آجل تكذيبى . واقناع مجلس التحقيق  
بتورطى معه . وتصور انه يستطيع ان يكشف امرى عندما نظر ناحيتى  
وسالنى فى تحد :

— الم تأت لزيارتنا فى العوامة . وعندما اردت ترك العوامة  
اقرب منك الكلب واخذ يهو هو فقلت لى طالبا ابعاد الكلب عنك ؟  
فقلت له :

— لا لم يحد ان ذهبت الى العوامة ، ولم يحدث ان رايت كلبا ،  
او قطا !

فعاد ابلىر يسألنى :

— وجهاز اللاسلكى الذى اخذته منا فى العوامة ونقلته الى  
منزلك ، اليس دليلا على زيارتك ، وعلى اتفاقك ؟ فقلت له :

– واين هو هذا الجهاز الذى تتحدث عنه ؟ لقد هاجم الضباط منزلى عند الفجر ، وقاموا بتفتيش جميع الغرف . فلم يعثروا على هذا الجهاز .

ولم يقتنع ابلىر بدفاعى . و اراد ان يتحدث . وكنا نجلس معا امام مائدة فى مواجهة مجلس التحقيق . فاردت ان اسكته ، هب واقفا وقال صارخا :

– انظروا .. انه يدوس على قدمى لكى اسكت انه لا يريد الاعتراف .

وبنفس الهدوء ، تطلعت الى اعضاء مجلس التحقيق وقلت لهم :

– ارجو اثبات اننى لا اعرف اى شئ عما يقوله هذا الرجل .  
فلا انا ضغطت على قدمه ، ولا انا عرفته كجاسوس المانى ، ولا انا زرتة فى العوامة بهذه الصفة . لقد قلت اننى خدعت فيه . عندما قدم لى نفسه كميجور فى الجيش البريطانى وتقابلت معه فى قشلاق العباسيه . وفيما عدا ذلك فؤاكد لكم انه كذب وافترء !  
وازداد صراخ ابلىر . واضطروا الى ان يأمره بالصمت ، والجلوس فى مكانه ..!

ساندى – الجاسوس الالمانى الثانى – اضطر الى التصديق على اعترافات زميله ابلىر . ولكنه – اى ساندى – كان يشعر بالخجل ، وهو يدلى باعترافه وكان يتحدث وهو ينظر الى الارض . ولا يجروء على الى الامام وكان يتحاشى ان ينظر الى بعكس زميله ابلىر الذى لا يعرف الخجل . ولا الحياء !

وانتهى التحقيق ، ولم يستطع المحققون ان يحصلوا منى على

شئ ..

واعادونى الى ميس الضباط , تحت حراسة .. وذات صباح  
فوجئت بزيارة من والدى , الذى نجح فى الحصول على تصريح بذلك .  
وكنا فى شهر رمضان المبارك . وكان من الواضح جدا على وجه  
والدى انه يعانى من شئ ما لم اعرفه بعد . وبادرت بسؤاله :

— خير ... يا والدى ؟ ماذا يقلك هكذا ؟

ورد والدى :

— لقد زارنى امس اللواء على باشا موافى .. وقبل ان يواصل  
والدى حديثه تتطلعت اليه فى حيرة ، ودهشه . فاللواء على باشا  
موافى وقتها يشغل منصب رئيس ادارة الجيش . واما والدى فكان  
يشغل وظيفة متواضعة . بداها كباشكاتب فى ادارة القسم الطبى بالجيش  
ثم ترقى فيها الى ان وصل — بعد عمر طويل — الى منصب مدير ادارة  
. فما هو سبب الزيارة التى يقوم بها مسئول كبير جدا فى الجيش  
المصرى ، لموظف ادارى بسيط فى احدى الادارات ؟ ! حقيقة ان على  
باشا موافى كان يعرف والدى عندما كان خدما معا فى السودان ، ولكن  
تلك المعرفة البسيطة جدا لا يمكن ان تبرر تلك الزيارة التى قام بها  
على باشا موافى لمكتب والدى فى الادارة الطبية ! ولم يتركنى والدى  
طويلا فى حيرتى ، ..

قال لى :

— لقد ذهلت عندما فوجئت بعلى باشا موافى امامى . وذهلت  
اكثر عندما بدا يحدثنى قائلا : اسمع .. اننى اعرفك منذ ايام خدمتنا فى  
السودان وانا اعتبرك صديقى ! ولهذا السبب لم اطلبك لتحضر الى  
مكتبى . ورايت ان احضر انا اليك ! وانت تعلم اننى اهتم بك . وباولادك

. ولولا هذا لما اهتمت كل هذا الاهتمام ، واترك عملي ، ومسئولياتي ،  
، واتي اليك هنا .

وقبل ان يلتقط والدي انفاسه ، عاد اللواء على باشا موافى الى  
مواصلة حديثه قائلا :

اننى ارى ان والدك انور فى مازق خطير الان . وارى ان تذهب  
اليه على الفور وتزوره فى الميس ، ويمكننى ان اساعدك فى استخراج  
تصريح زيارة . وتنصح بان يعترف بكل شئ . فهذا الاعتراف هو  
المبرر الوحيد الذى يمكننا ان نستند اليه ، عندما نتقدم ونطلب الرأفة  
به . ومن المؤكد ان اعتراف سيعطيه الفرصة لاخذ حكم مخفف ولا  
داعى الى ان انبهك الى ان عدم الاعتراف ، والاصرار على النفسى  
والانكار . سيقودان انور ابنك الى الاعدام رميا بالرصاص !

ولم يرحم على باشا موافى والدى ، الذى كان يرتجف خوفا ،  
وفزعا ، من كلمات وتهديدات القائد العسكرى المهيّب فواصل موافى  
باشا حديثه لوالدى قائلا :

— ولا اخفى عليك ان الحكم باعدام ابنك اصبح امرا مفروغا منه  
. والحكاية كلها لن تستفرق سوى بضعة ايام معدودة . بل يؤسفنى ان  
اقول لك ان هناك امرا لفرقة ضرب النار — التى تقوم باطلاق نيرانها  
على المحكوم عليهم بالاعدام — لتستعد ، وتكون رهن الاشارة فى اية  
ساعة ! فهل تريد لابنك ان يلقى هذا المصير ؟ نصيحتى لك ان تذهب  
اليه ، وتقنعه بالاعتراف . فهذا وحده الحل لاتقاذه من الموت . فما  
رايك !؟

ولم يكن لوالدى راي يقوله :

لقد اصيب باكبر صدمه له فى حياته .. فالقائد العسكرى المهيب  
جاء لينقل اليه قرب اعدام ابنه ! فهل يمكن لاب ان يكون له راي فى  
هذه الكارثة !

وانتهت المقابلة : وفى اول ساعة من ساعات نهار اليوم التالى  
كان والدى يزورنى فى ميس الضباط ، وينقل الى الحديث الخطير الذى  
سمعه من اللواء على باشا موافى .. وتصور والدى اتنى ساتهاوى ،  
واسقط من طولى ، كما تهاوى هو وسقط ! ولكنه ذهل عندما وجدنى  
اضحك له واسأله فى هدوء قائل :

— وهل صدقت يا والدى ما قاله موافى باشا !؟

ورد والدى فى حدة وقلق عظيمين :

كيف لا اصدقه وهو رئيس ادارة الجيش !؟

واسرعت محاولا تهدئة والدى فقلت له :

— ليس صحيحا ان جماعة ضرب النار تلتقت امرا بالاستعداد .  
فهذا الامر لا يصدر الا بعد ان تنتهى المحاكمة ، ويصدر حكم الاعدام  
رميا بالرصاص ضد المتهمين . وهذا لم يحدث حتى الان . فلا  
المحاكمة انتهت ، ولا الحكم باعدامى صدر ، وبالتالي فلا يمكن ان  
تتلقى جماعة ضرب النار هذا الامر الذى يتحدث عنه موافى باشا .  
وانه يريد فقط اخافتك ، وتدخلك لاقتناعى بالاعتراف . وتأكد يا والدى  
ان الاعتراف المطلوب هو الذى سيقودنى الى الاعدام ! انهم لا يملكون  
اي دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل ، فهل كان يمكن ان يزورك  
على باشا موافى ، ويزعم انه صديقك ، وتهمه حياة ابنك ، وينصحك  
بالتدخل لاقتناعى بالاعتراف ، حتى تعطيهما الدليل الوحيد على ادانتى ،  
ويستندوا اليه عند الحكم باعدامى !؟

ويبدو ان والدى اقتنع بكلامى فقد هز راسه موافقا ، وان  
ازدادت حيرته وتعاضم قلقة ، فسألنى :

— اذا . ماذا ساقول لهم يا انور ؟ فعلى باشا موافى ينتظر ردك  
، واكد لى انه سيعود لزيارتى غدا لسماع راىك ؟  
وبنفس الهدوء قلت لوالدى :

— لا تقل شيئا . ويمكنك ان ترد على الباشا قائلا بانك لا دخل  
لك فى هذا الموضوع . فاذا كان لى الجيش اى شىء ضد ابنك ، فعلى  
الجيش ان يتصرف معه . فهو ضابط فى الجيش ويعرف ماذا يفعل  
ويجب عليه ان يتحمل مسئولية عمله ؟

وعاد والدى يسأل وهو يحاول ان يبدو هادئ البال امامى :  
— قل لى يا انور .. هل حقيقة انهم لا يملكون دليلا واحد ضدك  
، يمكن ان يدينك ؟

ارجوك قل لى ياابنى ولا تخف عنى اى شىء ..  
واسرعت ارد عليه :

— ابدأ .. ابدأ . فاطمئن ياوالدى ولا تشغل نفسك ابدأ بهذا الامر  
الذى سينتهى على خير باذن الله . فكما قلت لك ان الجيش لم يحاكمنى  
بعد . وكل ما حدث معى هو التحقيق معى امام مجلس التحقيق . فاذا  
وجدوا اى شىء ضدى ، فسوف يحيلوننى الى المحاكمة العسكرية ، التى  
ستحقق من جديد ثم تصدر حكمها فى القضية . وهذا كله لم يحدث حتى  
الان . فاطمئن .

وسألنى والدى مرة اخرى :

— وماذا يحدث اذا اقتنع مجلس التحقيق باذانتك واحالك الى  
المحاكمة العسكرية ؟

فقلت :

– لن يحدث . فهم لا يملكون اى دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل لم انتظروا علي حتى اليوم . لقد هاجموا منزلنا فى الفجر بحثا عن الدليل ، وهو جهاز اللاسلكى . وعندما لم يعثروا عليه ، ضاعت منهم القضية تماما . فلا جريمة بدون جسم الجريمة ! وتركنى والدى ، وهو لا يستطيع ان يطمئن تمام الاطمئنان على مصيرى ..

وفى صباح اليوم التالى جاء على باشا موافى لسماع رايبى الذى قلته لوالدى . ولم يستطع موافى باشا ان يقول لوالدى اكثر من !  
– والله : لقد فعلت كل ما فى وسعى لانقاذ ابنك . ولا استطيع ان افعل اكثر من ذلك . وعلى ابنك ان يتحمل الان كل ما يحدث له !